﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ٣٨﴾

[الرّعد: 38]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد أن بيّن الله تعالى في الآية السّابقة الامتنان بنزول القرآن ذي الحكمة بلسانٍ عربيٍّ مُبين، وأنّه كافٍ في البيان، وحذّر من اتّباع أهوائهم؛ أتبعه في هذه الآية ببيان أنّ الرّسل على هذا السّبيل ساروا، فالآيَة "عَوْدٌ إلى الرّدّ على المشركين في إنكارهم آيةَ القرآن وتصميمهم على المطالبة بآيةٍ من مقترحاتهم تُماثِل ما يُؤثر من آيات موسى وآيات عيسى عليهما السلام ببيان أنّ الرّسولَ لا يأتي بآيات إلّا بإذن الله، وأنّ ذلك لا يكون على مقترحات الأقوام"[1].

بعد نزول القرآن، بيّن السّياق، أنّ نزول البراهين السّاطعة، كان بأمر الله تعالى وإذنه

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَزْوَاجًا﴾: الزّاي والواو والجيمُ تدورُ اشتقاقاتُها على مُقارَنَةِ شَيْءٍ لِشَيْءٍ، ومِن ذلكَ الزَّوْجُ: زَوْجُ المَرأةِ، والمَرأةُ زَوْجُ بَعْلِها، وهو الفَصيحُ. قالَ اللهُ جَلَّ ثَناؤُهُ: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35][2]، فالزَّوْجُ: كُلُّ شَيْءٍ ثانٍ مَعَ شَيءٍ آخَرَ بَيْنَهُما تَقارُنٌ في حالٍ ما، وسُمّيتِ الأُنْثَى القَرينَةُ لِلرَّجُلِ بِنِكاحٍ: زَوْجًا؛ لِأنَّها اقْتَرَنَتْ بِهِ وصَيَّرَتْهُ ثانيا، ويُسَمَّى الرَّجُلُ زَوْجًا لَها لِذَلِكَ بِلا فَرْقٍ، فَمِنْ ثَمَّ لا يُقالُ للمَرأةِ زَوْجَة بِهاءِ تَأْنيثٍ؛ لأنَّهُ اسْم وليسَ بوصفٍ[3]، والمُراد بالزَّوج في الآية: اسمٌ لِذاتٍ مُنْضَمَّة إلى غيرها على وجه المُلازَمَةِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/161 - 162.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (زوج).
(3) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/428.

والمقصود بالأزواج هنا هوَ مِنْ مُقابَلَةِ الجَمْعِ بالجَمْعِ، فَقَدْ يَكونُ لبعضِ الرُّسُلِ زَوْجَةٌ واحِدَةٌ، وقد يَكونُ لآخرين عِدَّةُ زَوْجاتٍ[1].

2) ﴿وَذُرِّيَّةً﴾: مادَّة الذّال والرّاء تدُلُّ على لَطافَةٍ وانتشارٍ[2]، ومِنهُ: ذَرَرْتُ؛ وهو أخذُك الشَّيءَ بأطراف أصابعك تَذُرُّهُ ذَرَّ المِلْحِ المَسْحوقِ على الطَّعام[3]، والذُّرّيةُ: الخَلْقُ والنَّسْلُ، مَأْخوذَةٌ مِن الذَّرْءِ، تقول: ذَرَأ اللّه الخَلقَ؛ أيْ: خَلَقَهُم، وذُرّيَةُ الرَّجُلِ: ولَدُهُ[4]، وقيل: هو مأخوذٌ مِن الذَّرِّ، وهو: النَّشْرُ، فيُقال: ذَرَّ الشَّيءَ، يَذُرُّهُ؛ أيْ: نَشَرَهُ، أو مِنْ صِغارِ النَّمْلِ؛ لأنَّ اللّه أخْرَجَ الخَلْقَ مِن صُلْبِ آدَمَ كالذَّرِّ[5]، والجَمْعُ: الذَّراري والذُّرّياتُ، والمقصود بالذُّريَّة في الآيةِ: نَسْل الإنسانِ مِن ذُكورٍ وإناثٍ.

3) ﴿أَجَلٍ﴾: أصلُ الأجَلِ: غايَةُ الوقْتِ في مَحَلِّ الدَّيْنِ وغيرِه، وقَدْ صَرَّفَهُ الخَليلُ فقالَ: أجِلَ هذا الشَّيءُ وهو يأْجَلُ، والاسمُ الآجِلُ: نَقيضُ العاجِلِ، والأجيلُ المُرْجَأُ؛ أي: المُؤَخَّرُ إلى وقْتٍ، والآجِلَةُ: الآخِرَةُ[6]، يُقالُ: دَيْنُهُ مُؤَجَّلٌ، وقد أَجَّلْتُهُ: جعلتُ لَه أجَلًا، ويُقالُ للمُدَّةِ المضروبة لحياة الإنسانِ أجَلٌ، فيُقال: دنا أجلُه، عِبارة عن دُنوِّ الموت[7]، وقَولُهُم: (أجَلٌ) في الجوابِ، هو مِنْ هذا البابِ، كأنَّهُ يُريدُ انتهَى وبَلَغَ الغايَةَ[8]، والمقصود بالأجل في الآيَةِ: الوَقْتُ المؤقَّتُ بِهِ عَمَلٌ مَعْزومٌ أو مَوْعودٌ، والمعنَى: لكُلِّ واقِعٍ أجَلٌ يَقَعُ عندهُ، ولكُلِّ أجَلٍ كِتابٌ؛ أيْ: تَعْيينٌ وتَحديدٌ لا يَتَقَدَّمُهُ ولا يَتأخَّرُ عنه[9].

❁ المَعْنى الإجْماليّ:

في هذه الآية يرُدُّ اللّه تعالى على مَن كان يُنكِرُ على رسولِ اللّه ﷺ تزَوُّجَه بالنِّساءِ قائلًا: ولَقد بَعَثْنا إلى الأمَمِ الماضيةِ رُسُلًا مِن قَبلِك، فكانوا بشَرًا مِثلَهم، وجَعَلْنا لهم أزواجًا يَنكِحونَهنَّ، ورَزَقْناهم أولادًا، فلستَ أوَّلَ رَسولٍ بشَريٍّ أُرسِلَ إلى النّاسِ، حتّى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/163.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذرّ).
(3) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (ذرر).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذرّ).
(5) الخليل، العين، والجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذرّ - ذرر).
(6) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (أجل).
(7) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (أجل).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أجل).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/164.

يستغربَ قَومُك إرسالَك إليهم، ولا يَقدِرُ أيُّ رَسولٍ أرسَلَه الله تعالى إلى قومٍ أن يأتيَ قَومَه ببيِّنَةٍ وآيةٍ تدُلُّ على صِدقِه، إلّا بأمرِ الله؛ فهو الّذي يأتي بالبيِّنات والآياتِ ويُؤيِّدُ بها رسولَه متى شاء، لكلِّ أجلٍ قدَّره الله، ولكلِّ أمرٍ قضاه، كتابٌ أُثبِت فيه، ووقت معلومٌ يقعُ فيه، لا يتقدَّمُ عليه ولا يتأخَّرُ، فلا تكونُ آيةٌ إلّا بأجلٍ قد قضاه الله تعالى في كتابٍ[1].

الأنبياء والرُّسل تجري عليهم أحكامُ البَشَرية، رغم أنّهم مخصوصون بالوحي

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيّ:

دلالة الواو في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ عاطفة؛ فقد عَطفت هذه الجملةَ على قولِه جلّ شأنه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾[2]، لبيان سُنّة الله تعالى في إرسال الرّسل، ومنهج إنزال الآيات، وأنّه ليس على وفق مُقترحاتِ المشركين والكافرين فيما يقترحونَ.

سُنّة الله تعالى في الإرسال، تَقْضي بنزول الآيات على حِكْمَتِه

ويجوز أن تَكونَ الواوُ اسْتِئْنافيَّة، وتكون الآيةُ مِن باب تقريرِ حقيقةٍ ربّانيَّة: أنَّ الرُّسُلَ السّابقين لهم أزواجٌ وذريَّة، ولَسْتَ بِدْعًا مِن ذلك أيُّها الرَّسولُ الكريمُ.

دلالة اللّام في ﴿وَلَقَدْ﴾:

أدخَلَ النّظم الكريم اللّامَ الموطّئة للقسَم على (قد) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ للدّلالة على القَسَم المحذوف[3]؛ تأكيدًا لمضمون الجملة، وتقويةً للمعنى؛ إذ إنَّ الإرسال معلوم وليس موضِعَ إنكارٍ.

إرسال الرّسل، أمرٌ قدّره الله أزلًا

(1) ابن جرير، جامع البيان: 13/558، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/468، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 419.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/161 - 162.

(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 7/144.

ولأنَّ الآية ردٌّ على المشركين في إنكارِهم آيةَ القرآن وتصميمِهم على المطالبة بآيةٍ من مقترحاتهم تُماثل ما يُؤْثَرُ مِن آيات موسى وآيات عيسى ﷺ، فكان التَّأكيدُ على أنَّ الرَّسولَ ﷺ لا يأتي بآياتٍ إلّا بإذن الله؛ لأنَّ أمرها لا يكون وفق مقترحات الأقوامِ.

دلالة دخول (قد) على ﴿أَرْسَلْنَا﴾:

الأزواج والذُّرّية، لا تعارِضُ شأنَ الرِّسالةِ

أدخل النّظم الكريم (قد) على الفعل الماضي في قوله تبارك اسمه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ للدّلالة على تحقيق الإرسال وتأكيد كونه واقعًا، وللرّدّ على مَن أنكر أن يكون للرّسول ﷺ أولادٌ وذرّيةٌ، أو أن يمشي في الأسواق، فأكّد أنّ هذا لا يخالف شأن الرّسل قبلَهُ.

سِرُّ التَّعبير بالفعل ﴿أَرْسَلْنَا﴾:

الإرسال أخصُّ من البعث، ولا يوصف بالرّسول إلّا من حمل رسالة للبلاغ

آثَر النَّظمُ الكريم التّعبيرَ بالإرسال دون البعثِ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾؛ لأنَّ الإرسالَ أخصُّ في الدّلالة من البعث؛ لأنَّهُ يتضمّن الدّلالة على كونه يحملُ رسالةً، أمّا البعث فلا يقتضي كونه مبعوثًا برسالة، فهذا اللّفظ أبلغ في الرّدّ على إنكارهم أن يكون للرّسول أولادٌ وذرّيّة، لأنّه تصريح بأنَّ إرسال البشر معهودٌ بين الأمم، وهذا يدلّ على أنّ الإرسال ليس مِن شروطِهِ أن يكون المُرْسَلُ من جنسِ الملائكة كما يتوهَّمُهُ المشركون. وممّا يُذكر في سِرِّ التَّعبير بالإرسالِ: أنَّ البعثَ يَحْمِلُ معنى الإثارة والتَّهيئة للنّاس مِن الواقع الّذي يعيشون فيهِ لاستقبال المبعوث من الأنبياء والرُّسل، وأنَّه ليسَ بِدْعًا منهم، فطبيعتُه لا تخالف طبيعتَهم، أمّا الإرسال فيدُلُّ على الانبعاث على تُؤَدَة؛ أخْذًا من قولك: (عَلى رِسْلِكَ)، وعلى هذا فَتَعْبيرُ القرآن بـ: ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلًا﴾ يحمل معنًى مفادُه أنَّ أمْرَ الرَّسولِ صادرٌ من اللّه سُبحانَهُ؛ فهو أمرٌ ربّاني لا دخْل له فيما أُرْسِلَ به من الآيات[1].

(1) عبد الجبار فتحي، الفروق اللّغويّة في القرآن الكريم، ص: 287.

دلالة التّعبير بالماضي ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾:

الماضي أدلّ على وقوع الحدث، وتأكيد إنجازه

عبّر عن الإرسال بالفعل الماضي في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا﴾ للدّلالة على حدوث الإرسال وتحقّقه، وأنّه قد وقَعَ في الواقع، فهو أمر مؤكّد، وتأكيده متعضّد باللّام و(قد)، كلّ ذلك لتأكيد مضمون الجملة؛ ردًّا على إنكار المشركين. وفيه إشارةٌ إلى أنَّ أمر الرِّسالة اجتباء واصطفاءٌ قدَّره الله سُبحانَهُ لِمَن اصطفاهُ، وليس مبنيًّا على الكَسْبِ والاجتهاد، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحجّ: 75].

دلالة نون العظمة في ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ و﴿وَجَعَلۡنَا﴾:

تعظيم الإرسال والجَعْل، يشير إلى عظيم الإنعام، وجليل الإحسان

أسنَد النّظمُ الكريم الإرسالَ إلى نون العظمة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ﴾؛ أيْ: كان ذلك الإرسال بِما لنا من العَظَمة[1]، وتعظيم الإرسال لكونه إنّما صدَرَ من الله العظيم ﷻ، فهو إرسالٌ بالغُ العَظَمةِ، وفي ذلك تنويهٌ بعِظَمِ الإنعام بهذا الإرسال.

وفي التّعبير بالفعلِ ﴿وَجَعَلۡنَا﴾ مُسندًا إلى نون العَظَمة تفخيمٌ لشأن الجَعْل، وللإشارةِ إلى أنّ اختيارَ رسُلٍ من البشر يكون لهم أزواجٌ وذرّيةٌ إنما هو من فعل الله تعالى بأن يكون الرّسل من جنس المُرسَل إليهم؛ أيْ: "ولم نجعلهم ملائكة، بل جعلناهم بشرًا"[2]، وهذا فيه من الإنعام ما لا يخفى، فعظّم هذا الجَعْل لِما فيه من دقيق اللّطف وجميل الإحسان بكون المرسلين من جنس الإنسان، وفيه توبيخٌ وتحقير للمشركين في تطاولهم على رسولنا ﷺ.

سِرُّ التّعبير بقوله: ﴿رُسُلٗا﴾:

مراعاة التّناسُبِ في الآية الكريمة، مِن البلاغةِ الأثيرة في السّياق

آثر النّظمُ الجليل التّعبيرَ بلفظ الرّسل دون الأنبياء في قوله تبارك

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/359.
(2) البقاعي، نَظْم الدّرر: 10/359.

اسمه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾؛ لأنّ السّياق يتكلّم عن الرّسالة والإرسال، وقد ذُكِرَ الإرسالُ في صدر الجملة، فكان التّعبير بالرّسول هو الأنسبَ لسياق الآية. وفيه دلالة على علوِّ مكانة الرُّسُلِ عليهم أفضل الصَّلاة والتَّسليم؛ لأنَّ كُلَّ رسولٍ نبيٌّ، وليسَ كلُّ نبيٍّ رسولًا.

دلالة التّنكير في قوله تعالى: ﴿رُسُلًا﴾:

كـثرة المرسلين، دلـيـل عـلى العناية الرَّبّانيَّة، بإصلاح مجتمع المؤمنين

جاء التّعبير عن الرّسل بصيغة التّنكير في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا﴾ للدّلالة على كثرتهم[1]، وهذه الكثرة مناسبة لموضوع الآية وسياقها، فهي مَسوقةٌ لبيان أنّ الإرسال حصل بجنس البشر، فبيان أنّ أولئك الرّسل كثيرون يدلّ على أنّ الإرسال بتلك الصِّفَةِ أمرٌ معهود، فما وجه استغراب المشركين بأن يكون الرّسول ماشيًا في الأسواق أو له زوجة وأولاد؟!

وفيه دلالةٌ على علوِّ مكانة الرُّسُل، وأنَّ الزَّواج والإنجابَ لا يُقَلِّل من هذه المكانَةِ كَما يزعُم المشركون.

دلالة ﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾:

زمَـنُ الإرسـالِ لـلـرُّسُـلِ، جـزءٌ من الزَّمن العامّ

أدخل النّظم الكريمُ حرفَ الجرّ (من) على الظّرف في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾؛ لأنّ زمن الإرسال لم يستغرق كلّ الزّمان الّذي كان قبل النّبيّ ﷺ؛ أيْ: "لمّا كانت أزمان الرّسل غير عامّة لزمان القَبْل؛ أدخل الجارّ فقال: ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾"[2].

دلالة كاف الخطاب في قوله: ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾:

تسلية النّبيّ الخاتم، بكون الأذى والإنكار عانى منهما كلّ الرّسل قبله

دلّ التّعبير بكاف الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ على أنّ المقصود بهذا الخطاب هو النّبيّ ﷺ؛ لأنَّ الإنكار إنّما وُجّه إليه، فكان الرّدّ بالإضافة إلى

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/26.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/359.

النّبيّ ﷺ، كما أنَّ فيه لطفًا به وطمأنة لقلبه إزاءَ ما يأتي به المُبطلون مِن شُبَه واقْتراحاتٍ.

دلالة التَّعبير بالواو في ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

بيان مضمون الجملة، للرّدّ على إنكار المشركين

الواو في قوله جلّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ عاطفةٌ؛ لأنَّها عطفت هذه الجملة على قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾[1]؛ لاشتراكهما بالتّأكيد المُعبّر عنه باللّام الموطّئة للقَسَم وأيضًا بـ (قد)، فكما أكّد النّظم أنّ الإرسال قد تحقّق في الأزمنة الماضية، فكذلك قد تحقّق كون المرسلين لهم أزواج وذرّيّة، وفي ذلك مزيد من التّأكيد لردِّ إنكار المشركين.

سرُّ التّعبير بالجَعْل ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

الذّرّيّة والأزواج فيض رحمة من الله تعالى، لِمَن شاء من عباده

عبّر النّظم الكريم بالفعل (جعل) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ الّذي يدلّ على الخَلْق والإحْداثِ، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: 1] فيتعدّى لمفعول به واحد[2]، وذلك للدّلالة على إمكان أن يكون الرّسل بلا أزواج ولا ذرّيّة، ولكن الّذي قضى بأن يكون لهم ذلك هو الله تعالى؛ ليكون الرّسول من بني قومه وعلى وفق سَنَنِهِم ونظام عيشهم، فيكون أقرب إلى نفوسهم، بحيث يعقلون عنهُ ويقتدون به.

دلالة التّعبير بالماضي ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

الفعل الماضي دليل التّحقّق

عبّر النّظم عَنِ الجعلِ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ بالفعل الماضي للدّلالة على حدوث ذلك الجَعْل، وأنّه مُحقَّق في الواقع، وذلك يدلّ على تأكيده، وفيه دلالة على أنَّ قدَرَ الله تَعالى لا يردُّه إنكارُ المشركين.

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 7/144.
(2) السّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (جعل).

سِرُّ تقديم الجارِّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾:

الاهتمام بشأن الأنبياء، وذِكْر الأزواج تبع لهم

قدّم النّظم الكريم الجارَّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ على خلاف الأصل، فلم يَقُل: (وجعلنا أزواجًا لهم)؛ اهتمامًا بشأنهم بتقديم ذِكْرِهِم على الأزواج؛ إذِ السّياق في الحديث عنهم، كما أنَّ تأخير الأزواج تشويقٌ للمَجْعولِ لهم، وليس المُرادُ تخصيصَ الأزواج بهم؛ لأنّ الأزواج والذُّرّيّة لا تختصّ بالرّسل ﷺ وحْدَهُم.

سرُّ التّعبير بقوله تعالى: ﴿أَزْوَاجًا﴾:

الأزواج أخصّ من النّساء، والنّساء عامّ للجنس بلا استثناء، للزّوجات وغيرهنّ

آثر النّظم الكريم التّعبير بالأزواج دون النّساء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾، وذلك للتّصريح بكونهنَّ زوجاتهم؛ إذِ التّعبير بالنّساء يحتمل الزّوجيّةَ وغيرَها، فليس نصًّا في كونهنَّ زوجاتهم، فلمّا كان السّياق في بيان بشريّة الرّسُل؛ كان التّعبير بالأزواج أدلّ على البشريّة من النّساء، وذلك لِما يحمله هذا الوصف من الاقتران بين الذّكر والأنثى في أمرِ المعاشرة الزّوجيَّة الّتي تؤكِّد بشريَّة الرُّسلِ ﷺ.

سِرُّ اختيار ﴿أَزْوَاجًا﴾:

بيان صفة البشريّة، بمُطلق الزّوجيّة، لا بعدد الزّوجات

آثر النّظم الكريم، التّعبيرَ بالأزواج دون الزّوجات، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾؛ لأنّه قد سبق ذِكْرُ الرّسل بالجمع، فجمع الأزواج يُقابل جمع الرّسل، فاللّفظ لا يتعرّض لكون بعض الرّسل له زوجات كثيرة؛ إذ لمّا "كان المقصودُ من الرّدّ هو عدمَ منافاة اتّخاذ الزّوجة لصفة الرّسالة؛ لم يكن داعٍ إلى ذِكْر تَعداد الزّوجات في هذا المقام"[1]، ولأنَّ النَّظم القرآني جاء على التَّعبير الأفصح، حيث ذَكر في كُلِّ القرآن صيغةَ الجمع (أزواج) ولم يذكر (زوجات).

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/163.

سِرُّ التَّعبير بالواو: ﴿وَذُرِّيَّةً﴾:

جمع النّظم الكريمُ بين الذُّرّيّة والأزواجِ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ عاطفًا بينهما بالواو الدّالّة على مُطلَق الجمع؛ إذ لا يُراد ترتيبٌ ولا تعقيب؛ لأنَّ الغرض الإخبار بأنّ الله جعل لهم الأزواج والذُّرّيّة لبيان ذلك الإنعام، وأنّ شأن الأزواج والذُّرّيّة مع الرُّسُل شأن معهود، كما أنّ التّرتيب والتّعقيب بين الأزواج والذُّرّيّة لا يُجْهَلُ، فهو معروف بداهةً، فلا فائدة من بيان ذلك بالفاء و(ثمّ).

الجمع بين الذّرّيّة والأزواجِ، كلاهما نعمة، والتّرتيب والتّعقيب بينهما لا يخفى

سِرُّ التَّعبير بالذُّرّيّة في الآية:

آثر النّظم الكريم التّعبير بالذّرّيّة في قوله تبارك اسمه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ دون الأبناء؛ لأنّ الذّرّيّة تشمل كلّ مَن جاء في عقبِه؛ إذ هي "الجماعة المُتفرّقة بالولادة عن أبٍ واحد في الجملة"[1]، فهو إخبار صريح بدوام ذرّيتهم، وبقاءِ نَسْلِهم، ولو قال: (وجعلنا لهم أبناءً أو أولادًا)؛ لاحْتَمَلَ أن يُراد به أولادهم المباشرون فحسبُ دونَ مَن خلَفَهم.

حفظ نسل الأنبياء واستمراره، من نعمة الله عليهم

دلالة الواو في قوله: ﴿وَمَا كَانَ﴾:

الواو في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ عاطفة لهذه الجملة على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾[2]؛ حيث عطفت انتفاءَ قدرةِ الإتيان بآية على الإرسالِ تقييدًا وبيانًا لحدودِ قُدرة الأنبياء بكونها لا تخرج عن قدرات البشَرِ، فإرْسالُهم لا ينفي بَشَريتهم.

نفي الإتيان بآية، تبيينٌ لِوظيفةِ الأنبياء، وإمكان قدرتهم

بلاغة التَّعبير بـ ﴿وَمَا كَانَ﴾:

جاء تركيب النّفي في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ بنفي فعل الكون (ما كان)؛ "أي: ما صحّ، وما استقام، ولم

نفي فعل الكون، أدلّ على النّفي من الأصل نفيًا قاطعًا

(1) البقاعيّ، نَظْم الدّرر: 10/360.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/163.

يكن في وسعه"[1]، وهذا التّركيب دالٌّ على النّفي البليغ القاطع؛ لأنّ النّفي تسلّط على فعل الكون للدّلالة على نفي ما في حيّز جملة الكون نفيًا من الأصل، فهو نفيُ الوجود؛ أيْ: لا يوجد في الأصل مثل هذه الحالِ، وهي الإتيان بالآية، فالنّفي دالٌّ على المبالغة.

سرّ تنكير الرَّسول في قوله: ﴿لِرَسُولٍ﴾:

إفادة النَّكرةِ العمومَ، في سياق النَّفي، مفيد في الإبانة عن المعنى

جاء لفظ الرّسول بصيغة التّنكير، في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ للدّلالة على العموم؛ أيْ: ما كان لأيِّ رسولٍ كان[2]؛ لأنَّ النَّكرةَ في سياق النَّفْيِ تُفيد العمومَ، فانتفاء القدرة على المجيء بآية ليس خاصًّا برسولٍ دونَ آخرَ؛ لذلكَ جاءَ التّنكير ليُبيّن أنّ تلكَ حقيقةٌ راسخة عامّة في كلِّ أحدٍ.

سِرُّ التَّعبير بالإتيان ﴿أَن يَأْتِيَ﴾:

نفي اليسير من الآيات، دليلٌ على نفي العظيم مِنْها، بطريق الأولويّةِ

في قوله تبارك اسمه: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾، عبّر النّظمُ الكريم بالإتيانِ دون غيره؛ لأنّ الإتيانَ يدلّ على المجيء بسهولة[3]، ولمّا كان السّياق في نفي قدرة الرُّسل على الإتيان بآية؛ عبّر بالفعل الدّالّ على ذلك، ويلزم من نفي السَّهْلِ من الآيات نفي العظيم منها، فينتفي ذلكَ بطريقِ الأولويَّةِ الأخْرَويةِ.

دلالة التَّعبير بالمصدر المؤول ﴿أَن يَأْتِيَ﴾:

انتفاء قدرة الرُّسُل على الإتيان بآيةٍ، مُتجدّدٌ في كلّ الأزمان

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالمصدر المُؤوّل ﴿أَن يَأْتِيَ﴾ دون المصدرِ الصَّريح (الإتيان) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾؛ لِما في المُؤوّل من دلالة على الزّمن، ولمّا جاء في سياق نفي القُدرة على الإتيان بآية؛ دلَّ على أنّ النَّفْيَ دائمٌ مستمرٌّ؛ أيْ: إنّ المجيء بآية ليس من شأن المرسلين، وأنّ ذلك لا يتغيَّر بمرّ الزّمن، بخلاف المَصْدَرِ الصَّريح؛ فإنَّه لا يُلْمَحُ فيه الدِّلالة على الزَّمن.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/27.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/360.
(3) الرّاغب، المفردات: (أتى).

سِرُّ التَّعبير بلفظ ﴿بِـَٔايَةٍ﴾:

عبّر النّظم الجليل بـ ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ دون المعجزة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾، وإن كان المُراد بالآية المعجزة؛ لأنّ المُراد منها أن تكون دليلًا على الصّدق، فالتّعبير عن ذلك بالآية تعبير بالغايَةِ المُرادة وهي أنّها علامة وعنوان على الصّدق، أمّا لفظ المعجزة فلا يقتضي أن يكون دليلًا.

الآيـــة دلـيـلٌ عـلى الـصّـدق، والـتّـعـبـير بها تعبير بالغايَةِ المُرادة

على أنَّ لفظ المعجزةِ لم يَرِدْ في الكتاب ولا في السُّنَّةِ، وإنَّما الوارِدُ فيهما ألفاظ: الآيةُ، والبيِّنَةُ، والسُّلْطانُ، والبرهان. وإنّما لفظُ المعجزةِ مِن اصطلاحاتِ أهلِ الاعتزالِ بعد القرونِ المفضَّلة لهذه الأمَّةِ[1].

دلالة التَّنكير في لفظ ﴿بِـَٔايَةٍ﴾:

آثرَ النّظمُ الكريمُ تنكيرَ لفظ ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾ للدّلالة على نَفْيِ عموم الإتيان بالآيات وشمولها كلَّ ما يمكن أن يُقال له إنّه آية؛ أيْ: "يأتي بآية مقترحة، أو آية ناسخة لحُكم من أحكام شريعته أو شريعة مَنْ قبلَه، أو غير ذلك"[2]، لذا جاء التّنكير للتّنويع والتّقليل في الشّأن، فساق النّظمُ هذا البيانَ بأسلوب يَقْطَعُ بانتفاء مَقدِرَةِ الأنبياء على الإتيان بآيةٍ ما من تلقاء أنفسهم.

الدّلالة على نفْيِ عـمـوم الإتـيـان بـالآيـات، من فصيح البيان

دلالة التَّعبير بالاستثناء بالأداة ﴿إِلَّا﴾:

دلّ التَّعبير بأداة الاستثناء ﴿إِلَّا﴾ في قوله تبارك اسمه: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ على أنَّ المجيء بآيةٍ ليس مُنْتَفيا على العموم، ولكنّ النّفْيَ متسلّط على قدرة الرّسولِ على المجيء بآية من تلقاء نفسِه، فجاءت ﴿إِلَّا﴾ للدّلالة على أنّ النّفي ليس مُطلقًا، فإذْنُ اللّه تعالى يُتيح الإتيانَ بالآية.

نفي القدرة على الإتيان بالآيات، لـيـس عـلى إطلاقه

(1) ابن تيميّة، النّبوات: 1/215، والجواب الصّحيح لمن بدل دين المسيح: 5/412.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدّرر: 10/360.

سِرُّ التّعبير بـ ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّـهِۗ﴾:

الإذن إعلامٌ، والإعلام يدلُّ ضمنًا على أمرِ الله تعالى ومشيئته

آثر النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الإذن في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ دون غيره؛ لِما فيه من معنى الإعلام، فهو إعلام للرّسول ﷺ بأن سَتَكون آية[1]، ويدلُّ ضِمْنًا على أنَّ الآية لا تَكونُ إلّا بأمْرِ الله تعالى ومشيئته؛ لأنّ الرّسولَ إذا كان يتلقّى الإعلام بحدوث آيةٍ؛ فإنَّ ذلك يدلُّ على أنّ شأن الآيات ليس من نفسِه، بل هي بإذن الله تعالى وأمره ومشيئته.

سِرُّ الإضافةِ في قوله: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّـهِۗ﴾:

لا يقع شيء في الوجود، إلّا بإذن الله ربّ كلّ موجود

أضاف النّظْمُ الكريمُ الإذنَ إلى الاسم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهِۗ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾، ولم يَقُلْ: (بإذن ربِّه)؛ للدّلالة على أنّ الإذن إنّما يكون من الله تعالى بما لَهُ من صفات العلم والإحاطة، فقوله: ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ يعني "المحيط بكلّ شيء علمًا وقُدرةً، فإنَّ الأمور عنده ليست على غيرِ نظام ولا مُفرِّطًا فيها، ولا ضائعًا شيءٌ منها"[2].

ويدلُّ أيضًا على عَظمَةِ هذا الإذن؛ لأنَّهُ يدُلُّ على مُطلق قدرته سبحانه مع خلقه، فَمَتى شاء اختبارَهم اخْتَبَرَهم وفْقَ حِكْمَته، ومتى شاء إنزالَ الآياتِ أنزلها؛ فَلا مُعارِضَ لِحُكْمِه.

بلاغة الالتفاتِ في قوله: ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّـهِۗ﴾:

ذكر لفظ الجلالة، دليل على الفخامة وتربية المهابة

التفَتَ النّظمُ الكريمُ من التّكلُّم إلى الغَيبة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾، ولم يَقُلْ: (إلّا بإذننا) تبعًا لِما قال في صدر الآية: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾، فأظهر الاسم الأحسن (الله) ليبْني الحُكْمَ عليهِ، وفي ذلك "من الدّلالة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/163.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 10/360.

على الفخامَةِ وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة إلى العلَّةِ ما لا يَخْفى"[1].

بلاغةُ التَّعْبير بلفظ ﴿لِكُلِّ﴾:

عبّر النّظمُ الكريم بـ (كُلٍّ) المفيدةِ للعُموم والشّمول، في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾؛ للدّلالة على عموم الآجال الّتي منها الأجلُ المتعلّق بالمجيء بآية، وفي هذا ردٌّ على المشركين بما ظنّوه من أنّ شأن الآية يَجِبُ أن يكون حاضرًا وقْتَ طلَبِهم، وغفلوا عن كَوْنِ الآجال مقدرّةً بعلم الله تعالى؛ فليست هناك آية مقترحة بنازلةٍ قبل أوانها، ولا عذابٌ استعجلوه بنازلٍ قبل أوانه.

عمومُ الآجال، يَشْمَلُ كُلَّ التَّصرُّفات

سِرُّ التَّعبير بلفظ ﴿أَجَلٍ﴾:

آثر النّظم الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الأجل دون غيرهِ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾؛ لأنّه دالٌّ على زمان محدّد، فهو ليس مطلقَ الوقتِ والزّمن، بل يُطْلَقُ على المدّةِ المضروبة للشّيء[2]؛ أيْ: مدّة زمنية مُحدّدة، "والمُراد بالأجل هنا: أزمنة الموجوداتِ، فلكلّ موجودٍ زمانٌ يوجد فيه محدودٌ، لا يُزاد عليه، ولا يُنقص"[3]، فهو مدّةُ وجودِ الشّيءِ المحدّدة الّتي لا تتغيّر، وهو الأنسب في الآية؛ إذْ إنّها في سياق الحديثِ عن المجيء بالآيات وإنزال العذاب، فبيّن أنَّ كُلَّ فِعْلٍ من ذلك له أجلٌ محدّد، وزمان مضروبٌ.

الأجـــل مـــدّة وجود الشّيء، لا مُطلق الزّمن

سرُّ التّعبير بالنّكرة ﴿أَجَلٍ﴾:

في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ جاء لفظ (الأجل) بصيغة التّنكير؛ وذلك للدّلالة على العموم والشّمول، فهو يشمل أزمنة كُلِّ الموجودات، فكلّ موجود له زمان محدّد لا يتغيّر زيادةً ونقصانًا[4]،

طـــولُ الأجَـــلِ وقِـصَـرُه، مُقدّرٌ بعلم الله تَعالى الّذي قدّره

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/28.
(2) الرّاغب، المفردات: (أجل).
(3) القنّوجيّ، فتح البيان: 7/69.
(4) القنّوجيّ، فتح البيان: 7/69.

ويشمَلُ كذلك أيَّ أجلٍ كان قصيرًا أو مديدًا، فكلُّ تلك الآجال مكتوبةٌ مُقدَّرَةٌ.

سِرُّ التَّعبير بلفظ ﴿كِتَابٌ﴾:

الكتابةُ دليلُ ضبطٍ للمكتوب، وحفظٍ له من عوارض التّغيير

عبّر النّظمُ الكريمُ بلفظ ﴿كِتَابٌ﴾ في قوله تبارك اسمه: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، والمُراد به: الكِنايَةُ عنِ التّحديد والضّبط؛ لأنّ الكتابة دليلُ أهميّة المكتوب، فالأشياء الّتي يُراد تحقّقها تُكْتَبُ لئلّا يُخالف عليها، والمُراد من ذلك التّعريضُ بالوعيد، والمعنى: لكلِّ واقعٍ أجلٌ يقَعُ عندَه؛ أيْ: كلّ شيء له تعيينٌ وتحديد، لا يقع فيه تقديم ولا تأخير[1]، فقد "أُثْبِت فيه أنّ أمرَ كذا يكون في وقت كذا مِنَ الثّواب والعقاب والأحكام والإتيان بالآيات وغيرها؛ إثباتًا ونَسْخًا على ما تقتضيه الحكمةُ، والحكمَةُ اقتضت أنّ النّبوَّة يَكْفي في إثباتها معجزةٌ واحدة"[2].

سِرُّ الختام بـ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾:

تذييلٌ يبطل توهّم انتفاء الصّدق، تبعًا لتأخّر الآيات

خَتَمَ النّظمُ الكريمُ الآيةَ بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾؛ لإفادة العموم في الآجال، ومن تلك الآجالِ: الإتيانُ بآية: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ﴾، وأفاد هذا التّذييلُ إبطالَ أوهامِهم بأنَّ تأخُّر الوعيدِ يقتضي انتفاءَ صِدْقِه، ولذا قد "ناسب أن يُذْكَرَ هنا أنّ تأخير ذلك لا يدلّ على عدَمِ حُصولِه؛ فإنَّ لذلك آجالًا أرادها الله، واقتضتها حكمتُه، وهو أعلمُ بخلقه وشؤونهم، ولكنّ الجهلةَ يقيسونَ تصرُّفات الله بمثل ما تجري به تصرّفات الخلائق"[3].

الكافرون في (الرّعد) يستعجلون العذاب؛ وفي (غافر) تبشيرُه بخسارة الكافرين

المُتشابِه اللّفظيّ في الآية:

تشابَهَ في هذه الآية قولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ مع قوله جلّ شأنه في سورة غافر: ﴿وَلَقَدْ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/164.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدّرر: 10/360.
(3) ابن عاشور: التّحرير والتّنوير: 13/164.

أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [غافر: 78]. فلِمَ خُصّت كلّ آية بما فيها بعد قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ﴾؟ والجواب عن ذلك أن يُقال: يُلاحظ أنّ الآية في سورة الرّعد مسبوقة بقوله جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [الرّعد: 32]، وبقوله عزّ ذكره: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الرّعد: 34]، فلمّا كان إملاءُ الله تعالى الّذين كفروا يَجْعَلُهم يستعجلون ما توعّدهم به الرّسولُ ﷺ من العذاب؛ ناسَبَهُ قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، أمّا الآية في سورة غافر؛ فقد تقدَّمها قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [غافر: 77]، فلمّا كان السّياقُ أكثرَ تعلّقًا بالتَّسْرية عن الرّسول ﷺ ناسبه تبشيرُه بمجيء أمر الله وخسارة الكافرين بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [غافر: 78].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيّةُ:

(أرسلنا) و(بعثنا):

الإرسال يتضمّن رسالة، والبعث أعمّ فلا يشترط فيه الرّسالة

البعث أعمّ من الإرسال؛ لأنّه "يجوز أن يبعث الرّجل إلى الآخر لحاجة تخصّه دونك ودون المبعوث إليه، كالصّبي تبعثه إلى المكتب، فتقول: بعثتُه، ولا تقول: أرسلته؛ لأنّ الإرسال لا يكون إلّا برسالة وما يجري مجراها"[1]. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 289.

قَبْلِكَ﴾، أوثِر التّعبيرُ بالإرسال؛ لأنّه حديثٌ عن المرسلين الّذين أرسلوا برسالة.

(الذُّريّة) و(الأولاد) و(الأبناء):

الـوَلَـد مَـن وُلِـد للرّجل، والابن يختصّ بالذّكر، والذُّريّة تشمل الجميع

الأبْناء جمع (ابن)؛ وهو كلُّ ما وُلِدَ ذكرًا، ويُطْلَقُ على كُلِّ ما ترتَّب على غيره بالسَّبَبية أو التَّبعيَّة أو المُلازَمة أو المشابَهة، والابنُ: يُفيد الاختصاصَ ومداومة الصُّحبة.

أمّا الذُّرّية؛ فتُطْلَقُ على نَسْلِ الرَّجل وما توالدَ مِنْهُ ومِن أبنائه وبناتِه؛ فَهي تَنْتَظِمُ الأولاد ذكورًا وإناثًا[1].

والوَلَدُ يَقْتَضي الولادَة، ولا يقتضيها الابْن، والابْنُ يَقْتَضي أبًا، ولا يُسمَّى الإنْسان والدًا إلّا إذا صار لَهُ ولد، ولَيْسَ هوَ مثل الأب؛ لأنّهم يَقولونَ في التّكنية: أبو فلان وإن لم يلِد فلانًا، ولا يَقولونَ في: هَذا والِد فلان، ويُقال: الابْن للذَّكر، والولد للذَّكر والأُنْثَى[2].

فالفَرْقُ بين الابن والولد: أنّ الأوّل للذَّكر خاصّة، والآخَرُ والثّاني يقع على الذَّكر والأنثى، أمّا النّسل والذّرّيّة فيقعان على الجميع.

وجاءَ التَّعبيرُ في الآية بالذّرّيّة دون غيرها؛ لأنّه أراد أن يشمل الجميع، فلا ميزة في السّياق للأبناء والبنات، فالمقصود من الإخبار بالذّرّيّة أنّهم بَشَرٌ يأكلون الطَّعام ويتزوَّجون وتكون لهم ذرّيّة.

وبناءً على ما سبق؛ نجد أن لفظ (الابن) منظورٌ فيه إلى الاختصاص بالنَّسَبِ ومداومة الصُّحبة، ويُطلق على الذَّكَر فقط، أمّا الولَدُ فمنظور فيه إلى الولادة والوالدِ، ويشمل الذَّكر والأنثى، وأمّا الذُّريَّة فمنظور فيهِ إلى الخَلْق والكثرة والتَّفرُّق عن أصلٍ واحدٍ، ويشمل الجميعَ[3].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 283.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 281 - 282.
(3) زيدان، الفروق اللّغويّة في القرآن الكريم، ص: 44.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 24 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-21-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 24 : المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-21-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1718375 بتاريخ 2024/02/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»